الليث بن ســـعد

محدث مصر وفقيهها ورئيسها *

للأستاذ علي الطنطاوي

قال الامام الشافعي : الليث أفقـــه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به
وقال الامام أحمد : ليس في أهـــل مصر أصح حديثاً من الليث

عَلَم شامخ من أعلام الاسلام ، وإمام من أئمة الدين ، وأحد أفراد الدنيا علماً وذكاء ، ونُبلاً ورفعةً ، وسخاء وكرماً ؛ أجمعوا على أنه عَدْل مالك في الفقه ، ونظيره في الاجتهاد ، وانه لمصر مثل مالك للمدينة : لا يفتي ومالك في المدينـــة ، ولا يفتي والليث في مصر وهو بعدُ أعظم جاهاً من مالك ، وأكثر مالاً وأسخى يداً ، وأجزل عطاء . . . بَيْد أن الله قيّض لمالك من دوّن علمه ، وكتب مسائله ، وحرّر مذهبه ، فعاش ونما واتسع ، وكثر أتباعه ومقلدوه ، واندثر مذهب الليث ونُسي اسمه ، فلا يذكره إلا المشتغلون بالرواية الاسلامية ، المنقطعون لدراستها ، العاكفون على كتبها . . .

وما مثل الليث بالذي يُنسى ، وما كان الليث نكرة في الرجال ، ولئن أنكره اليوم بعض الشباب أو جهلوا قدره ، أو شغلهم عنه وعن أمثاله « أندره چيد » وهذا الآخر . . « پول ڤاليرى » فلقد عرف له الأولون فضله وعلمه ، وسموّه ورفعته . فعاش رئيساً في العلماء ، مقدّماً عند الخلفاء ، مطاعاً عند الولاة ، مبجلاً عند الخاصة ، موقراً عند العامة ، وازدحمت عليه النعم ، وأقبلت عليه الخيرات ، ودنت منه الأماني ، فأوتي العلم والعقل والصحة والمال والسيادة والجاه ، وأوتي مع هذا كله نفساً أكبر من هذا كله ، فما التفتت إليه ، ولا تمسكت به ، ولا شغلها عن دينها وتقواها . مالت إليه الدنيا فمال عنها ، ومنح من كل نعمة أوفاها فما قصر في شكر ، ولا زهد في أجر ؛ وكان سيّدَ مصر ، أمرُه قبل أمر الولاة ، وحكمه فوق حكم القضاة ، فما اقتنص بذلك دنيا ، ولا غُمِص عليه في بطن ولا فرج ؛ وكان دخله بين عشرين وثمانين ألف دينار في العام ، فما كنز بيضاء ولا صفراء ، ولا منعها فقيراً ، ولا أمسكها عن ذي حاجة ، فأطبق العلماء على إجلاله ، واتفق المصنفون على الثناء عليه ، وعقدت القلوب على حبّه ، وأجمع الناس على احترامه

اسمه وأصله ومولده :

هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفَهمي . كان أبوه من موالي قريش ، ثم افترض في بني فَهْم (وهم بطن من قيس عَيْلان خرج منهم جماعة من العلماء) وتبعه الليث بعده ، فكان اسمه في ديوان مصر ، في موالي بني كنانة من فَهْم ؛ وقيل كان مولى خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي

وكنيته أبو الحارث

ولد في قرقشندة[1] (قرية بأسفل مصر على أربعة فراسخ من الفسطاط) فهو مصري المولد والمنشأ ، وأصل أسرته من أصبهان . قال الليث : نحن من أهل أصبهان ، فاستوصوا بهم خيراً ، وقيل إنهم من الفرس ، ولم يصحّ ذلك

وكان مولده يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ٩٤ ، قال الليث : قال لي بعض أهلي : إني ولدت سنة اثنتين وتسعين ، والذي أوقن به أني ولدت سنة أربع وتسعين

* جمعنا هذه الترجمة من :
١ ــ الرحمة الغيثية لابن حجر (ص٢) ٢ ــ تاريخ بغداد (ج ١٣ ص١) ٣ ــ وفيات الأعيان (ج ١ ص٥٥٤) ٤ ــ تهذيب تاريخ ابن عساكر (مخطوط في المكتبة العربية بدمشق ج١٤ ص١٨١) ٥ ــ التاريخ الصغير للبخاري (ص٢٠٠) ٦ ــ الانساب للسمعاني (ص ٤٣٥) ٧ ــ تاريخ الكندي (ص ١٢٨ وغيرها) ٨ ــ تهذيب التهذيب (ج ٨ ص٤٩٥) ٩ ــ تذكرة الحفاظ (ج ١ ص ٢٠٧) ١٠ ــ دول الاسلام للذهبي (ج١ ص ٨٨) ١١ ــ مرآة الجنان لليافعي (ج ١ ص ٣٦٩) ١٢ ــ الديباج المذهب لابن فرحون (ص٢٩) ١٣ ــ حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص٣٥٠) ١٤ ــ حسن المحاضرة للسيوطي (ج١ ص١٣٤) ١٥ ــ خلاصة التذهيب للخزرجي (ص ٣٢٣) ١٦ ــ معجم البلدان (ج ٧ ص ٥٨) ١٧ ــ تاريخ الخلفاء (ص ١١٢) ١٨ ــ تهذيب الأسماء للنووي (ج ٢ ص ٧٤) ١٩ ــ الأعلام للزركلي (ص ٨٢٢) وقد تركنا الأسانيد اختصاراً فمن شاء فليرجع في معرفتها إلى هذه الصفحات

(١) هكذا سماها ياقوت وابن حجر والسمعاني وغيرهم ، وفي القاموس ووفيات الأعيان وحياة الحيوان وغيرها قلقشندة (باللام) قلت : واليها ينسب (القلقشندي) صاحب (صبح الأعشى)

شيوخه :

قال أبو نعيم الأصبهانى (فى حلية الأولياء) : أدرك الليث نيفاً[١] وخمسين من التابعين

سمع الليث بمصر من يزيد بن أبى حبيب[٢] وجعفر بن ربيعة[٣] والحارث بن يعقوب[٤] وعبيد الله بن أبى جعفر[٥] وخالد بن يزيد[٦] وخير بن نعيم[٧] وسعيد بن يزيد[٨]

وحج الليث سنة ١١٣ وكان عمره تسعة عشر أو عشرين ، فسمع فى حجته تلك من عطاء بن أبى رباح[٩] وهشام بن عروة[١٠] ويحيى بن سعيد الانصارى[١١] وأبى الزبير المكى[١٢] وعبد الله ابن أبى مليكة[١٣] وعمرو بن شعيب[١٤] وقتادة[١٥] وعمرو بن دينار[١] ونافع[٢]

قال الليث : حججت أنا وابن لهيعة[٣] فرأيت نافعاً مولى ابن عمر فدخلت معه إلى دكان علاف ، فقال : من أين ؟ قلت : من أهل مصر ، قال : ممن ؟ قلت : من قيس . قال : ابن كم ؟ قلت : ابن عشرين ، قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين ! وحدثنى . فمر بنا ابن لهيعة ، فقال من هذا ؟ قلت : مولى لنا فلما رجعنا إلى مصر ، جعلت أحدّث عن نافع فأنكر ذلك ابن لهيعة ، وقال : أين لقيته ؟ قلت : أما رأيت العبد الذى كان فى دكان العلاف ؟ هو ذاك !

وخرج الليث إلى العراق سنة ١٦١

قال أبو صالح[٤] : خرجنا معه من مصر فى شوال وشهدنا الأضحى فى بغداد ، وقال لى الليث ونحن فى بغداد : سَلْ عن قطيعة بنى جدار ، فاذا أرشدت اليها فاسأل عن منزل هُشَيم الواسطى[٥] فقل له : أخوك ليث المصرى يقرئك السلام ، ويسألك أن تبعث اليه بشئ من كتبك

فلقيت هُشيما فدفع إلىّ شيئاً ، فكتبنا منه وسمعته مع الليث ، وكان الليث قد كتب من علم الزهرى[٦] كثيراً ، قال : فأردت

---

(١) قلت : والأصح أن يقال أدرك خمسين ونيفاً لأنها لاترد إلا بعد العدد كما فى اللسان

(٢) هو يزيد بن سويد الأزدى المصرى مفتى مصر وأول من أظهر فيها علوم الدين والفقه وكان نوبياً أسود حجة حفظاً للحديث توفى سنة ١٢٨

(٣) هو جعفر بن ربيعة بن شرجيل بن حسنة الكندى وثقه أحمد وأبو زرعة توفى سنة ١٣٦

(٤) هو الحارث بن يعقوب (مولى قيس بن سعد بن عبادة) المصرى وثقه ابن معين وكان عابداً يقوم الليل كله توفى سنة ١٣٠

(٥) هو عبيد الله بن أبى جعفر الكنانى بالولاء المصرى الفقيه أحد الأعلام . قال ابن سعد : هو فقيه زمانه ، وكان عالماً عابداً زاهداً توفى سنة ١٣٦

(٦) هو خالد بن يزيد الجمحى بالولاء المصرى الاسكندرانى وثقه النسائى توفى سنة ١٣٩

(٧) هو خير بن نعيم بن سرقا الحضرمى قاضى مصر وقاضى برقة توفى سنة ١٣٧

(٨) هو سعيد بن يزيد الحميرى الاسكندرانى وثقه أحمد وابن معين وكان من العباد المجتهدين توفى باسكندرية سنة ١٥٤

(٩) هو عطاء بن أسلم بن صفوان تابعى من أجلاء الفقهاء ولد فى جند باليمن ونشأ فى مكة فكان مفتى أهلها ومحدثهم . قال ابن سعد : انتهت اليه الفتوى بمكة ، وقال أبو حنيفة : ما لقيت أفضل من عطاء ، وقال ابن عباس وقد سئل عن شىء : يا أهل مكة تجتمعون على وعندكم عطاء ؟ قيل إنه حج أكثر من ٧٠ حجة توفى سنة ١١٤

(١٠) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام أحد الأعلام ومن أكابر أهل الحديث ولد بالمدينة ورحل إلى بغداد فتوفى فيها سنة ١٤٦

(١١) هو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصارى البخارى قاضى المدينة . قال ابن سعد : كان ثقة حجة كثير الحديث ، وكان يوازى الزهرى فى الكثرة ، قال أحمد : هو أثبت الناس توفى سنة ١٤٣

(١٢) هو محمد بن مسلم بن تدرس المكى أحد الأئمة وثقه ابن معين والنسائى وابن عدى توفى سنة ١٢٨

(١٣) هو عبدالله بن عبدالله بن زهير (وهو أبو مليكة) بن عبدالله بن جدعان أدرك ثلاثين من الصحابة وولاه ابن الزبير قضاء الطائف ثقة مات سنة ١١٧

(١٤) هو عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاص نزيل الطائف وثقه النسائى وحقق البخارى سماعه من جده عبد الله توفى سنة ١١٨

(١٥) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى البصرى مفسر حافظ ضرير أكمه قال أحمد : قتادة أحفظ أهل البصرة وكان مع علمه بالحديث رأساً فى اللغة وأيام العرب . قال ابن المسيب ، ما أتانا عراقى أحفظ من قتادة . احتج به أرباب الصحاح توفى سنة ١١٧

(١) هو عمرو بن دينار الجمحى بالولاء المكى أحد الأعلام قال ابن مسعر : ثقة ثقة ثقة سنة ١٢٥

(٢) هو نافع المدنى أبو عبد الله من أئمة التابعين بالمدينة كان علامة متفقهاً على رياسته ، كثير الرواية للحديث ، ثقة ، وهو ديلمى الأصل مجهول النسب أصابه عبد الله بن عمر صغيراً فى بعض مغازيه ، ونشأ بالمدينة وأرسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن . توفى سنة ١٢٠

(٣) عبد الله بن لهيعة بن فرعان الحضرمى قاضى الديار المصرية . قال الامام أحمد : محدث مصر ابن لهيعة . وقال سفيان الثورى : عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع . ولى قضاء مصر للمنصور العباسى سنة ١٥٤ فأجرى عليه ٣٠ ديناراً كل شهر فأقام عشر سنين وصرف سنة ١٦٤ واحترقت داره وكتبه سنة ١٧٠ فبعث اليه الليث بألف دينار . مات ١٧٤

(٤) هو كاتب الليث عبد الله بن صالح الجهنى بالولاء . قال أبو زرعة حسن الحديث وغلطه غيره توفى سنة ٢٢٣

(٥) هو هشيم بن بشر بن أبى حازم الواسطى نزيل بغداد ، حافظ ، كان محدث عصره ، لزمه الامام أحمد أربع سنين توفى سنة ١٨٨

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى القرشى المدنى تابعى جليل وإمام علم ، كان عالم الحجاز والشام وكان آية فى الحفظ حتى أنه قال : ما استودعت قلبى شيئاً فنسيته . قال الليث : ما رأيت

أن أركب البريد اليه الى الرصافة فخفت ألاّ يكون ذلك لله فتركته

أى إنه آثر أن يروى عنه بالواسطة خشية أن يكون فى ذهابه اليه وسماعه منه حظ نفسى ، فلا يكون ذلك خالصاً لله وحده

وسمع من سعيد المقبرى[1] ويونس بن يزيد[2] وغيرهم وسمع منه خلق كثير

منزلته عند العلماء

قال الامام أحمد بن حنبل : مافى هؤلاء المصريين أثبت من الليث ، لاعمرو بن الحارث[3] ولا أحد . ثم قال : الليث بن سعد ؟ ماأصح حديثه ؛ وجعل يثنى عليه

فقال رجل لأبى عبد الله (يعنى أحمد) . إنسان ضعّفه فقال : لايدرى

وقال مرّة : ليس فيهم (أى أهل مصر) أصح حديثاً من الليث وعمرو بن الحارث يقاربه

وقال الامام الشافعى : الليث أفقه من مالك ، إلاّ أن أصحابه لم يقوموا به ، أى لم يدوّنوا علمه ، ولم يحرّروا مذهبه فضاع واندثر

وقال : مافاتنى أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث وابن أبى ذئب[4]

وقال ابن حبان[5] (فى الثقات) : كان من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً وسخاء

وقال ابن أبى مريم[6] : ما رأيت أحداً من خلق الله أفضل من ليث ، وما كانت خصلة يتقرب بها الى الله عز وجل إلا كانت تلك الخصلة فى الليث

وقال أبو يعلى الخليلى : كان إمام وقته بلا مدافعة

وقال يحيى بن بكر : ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث ، وما رأيت أكمل منه ؛ كان فقيه البلد ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر والمذاكرة (الى أن عدّ خمسة عشرة خصلة) ما رأيت مثله

وقال : الليث أفقه من مالك ، ولكن كانت الحظوة لمالك

وقال سعيد بن أبى أيوب[1] : لو أن مالكاً والليث اجتمعا كان مالك عند الليث أبكم ، ولباع الليث مالكاً فيمن يزيد

وسئل أبو زرعة[2] : الليث يحتج بحديثه ؟ قال : أى لعمرى

وقال يحيى بن معين[3] : ثبت

وقال يعقوب بن شيبة[4] : ثقة وقال مثل ذلك محمد بن سعد[5]

وقال النووى[6] (فى تهذيبه) : أجمعوا على جلالته وأمانته وعلوّ مرتبته فى الفقه والحديث

قالوا : وكل مافى كتب مالك من قوله (وأخبرنى من أرضى من أهل العلم) فانما يعنى به الليث بن سعد

البقية فى العدد القادم

على الطنطاوى

عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، وقال مالك : لم يكن فى الناس له نظير توفى سنة ١٢٤

(١) هو سعيد بن أبى سعيد المقبرى المدنى ثقة جليل توفى سنة ١٢٤

(٢) يونس بن يزيد الأموى بالولاء وثقه النسائى وغيره توفى سنة ١٥٩

(٣) هو عمرو بن الحارث بن يعقوب الانصارى مولى قيس بن سعد ابن عبادة . الفقيه المصرى المقرئ أحد الأئمة مات سنة ١٤٨

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة القرشى العامرى المدنى أحد الأئمة الأعلام . قال أحمد يشبه ابن المسيب . وهو أصلح وأورع وأقوم بالحق من مالك : ولما حج المهدى دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فقال له رجل : قم فهذا أمير المؤمنين ، فقال ابن أبى ذئب إنما يقوم الناس لرب العالمين . فقال المهدى : دعه لقد قامت كل شعرة فى رأسى ، مات سنة ١٥٩

(٥) هو محمد بن حبان التميمى الحافظ إمام عصره صنف تصانيف لم يسبق إلى مثلها ، وكان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال ، وكان على قضاء سمرقند زمانا مات سنة ٣٥٤

(٦) هو يزيد بن أبى مريم مالك السلولى البصرى وثقه ابن معين وأبو زرعة مات سنة ١٤٤

(١) هو سعيد بن أبى أيوب الخزاعى بالولاء وثقه ابن معين وأبو زرعة مات سنة ١٦١ ، والمعنى أن مالكا على بيانه وجلالة قدره وطول باعه ، دون الليث ، وإلا فمالك معروف قدره ، وعلو منزلته ، ولم يقصد ابن أبى أيوب انتقاصه ولا الحط من شأنه ، رضى الله عنهم أجمعين

(٣) هو عبيد الله بن عبد الكريم المخزومى بالولاء الرازى الحافظ أحد الأعلام والأئمة . قال أحمد : ماجاوز الجسر أحفظ من أبى زرعة . وقال اسحق : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل ، روى أنه يحفظ عشرة آلاف حديث فى القرآن . قال أبو حاتم : ماخلف بعده مثله . مات سنة ٢٦٤

(٤) يحيى بن معين الغطفانى البغدادى الحافظ الامام العلم مات سنة ٢٣٣ بالمدينة وحمل على أعواد النبى صلى الله عليه وسلم ونودى بين يديه : هذا الذى يذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٥) يعقوب بن شيبة السدوسى البصرى من كبار علماء الحديث له المسند الكبير ما صنف مسند أحسن منه ولم يتمه وهو مئات من الأجزاء كان يشتغل فى تبييضه عشرات من الوارقين مات سنة ٢٦٢

(٦) محمد بن سعد بن منيع الزهرى بالولاء مؤرخ ثقة من حفاظ الحديث ، كان كاتب الواقدى ، أشهر كتبه الطبقات الذى طبع فى أوربا ، مات سنة ٢٣٠

(٧) هو الامام الكبير محيى الدين النووى من كبار أئمة الشافعية وصاحب التصانيف الكثيرة الجليلة توفى ١٤ رجب سنة ٦٧٦